Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

النظم عند السهيلى :

ولكن ماذا يعنى السهيلى بنظم القرآن وسر الأعجاز فيه؟

إن السهيلى يكرر كثيراً لفظ النظم والانتظام، وقد تبين لى بعد أن جمعت كلامه فى ذلك أنه يعنى بالنظم تنزيل الألفاظ فى منازلها، وقد يكون هذا لسبب معنوى، أولسبب لفظى مرتبط بمنهج تعبيرى، وتحت هذا الأصل العام، وهو تنزيل الالفاظ فى منازلها يمكن رجعُ أحاديث السهيلى فى الاعجاز، فإذا خلا كلام الله من الاطالة وإخلال الايجاز، فهويرجع إلى هذا الأصل، وإذا كان للفظ دلالة خاصة، فإن له منزله الذى لايتخلف عنه، والكلمة أو الحرف قد يُذكرُ فى مجال ويحذف فى مجال آخر، وما ذلك إلا لاعتبارات هى من سرّ النظم وتنزيل الكلام، واللفظ أيضا له ضوابطه المرعية التى تقضى بتقديمه أو تأخيره.

ويكاد السهيلى يذهب مذهب عبدالقاهر، الذى كان يرى أن إعجاز القرآن وبلاغته إنما هى فى نظمه ونسقه وأسلوبه، بيد أن السهيلى كان يرى أن للقرآن منهجا فى اختيار مفرداته، وأن هذا من أسرار النظم وجماله، فهو لايقول: إن اللفظ فى القرآن قد اكتسب معنى جديدا وإنما يقول: إن اللفظ القرآنى قد أحسن وضعه هذا الموضع، حيث لا يحسُن أن يوضع غيره مكانه مما قد يؤدّى معناه. وقد نفى عبدُالقاهر أن يكون الاعجازُ راجعا إلىٰ معانى الكلمات المفردة التى هى بوضع اللغة(١)، وقد يتفق السهيلى معه فى ذلك، ولكنه يزيد أنه لا يحسن أن يستبدل بهذه الكلمة مرادِفُها فى كلام الناس.

وجل ماساقه السهيلى من أسرار مرتبطٌ بدلالة اللفظ والمعنى الذى يوجبه السياق، ومن ثم فإن تنزيل الألفاظ فى منازلها يرجع إلى مقتضيات معنوية، تتحقق عندما تتحقق صورة التعبير على نسق ونظم معين، ولهذا ذكر السهيلى فى

(١) دلائل الاعجاز ٢٩٤ ـ ٢٩٥.